آراء

«الشيخ نبيل قاووق، عضو المجلس المركزي في حزب الله، يقول إن الحزب مستمر بمعركته في سوريا، وتهديدات ترامب لا تخيفه، سؤالنا له من الذي كلفكم بالقتال خارج الحدود؟».

إيلي محفوض
عضو الأمانة العامة لقوى 14 آذار في لبنان

«نريد أن نرى مفاوضات مباشرة بين وفد الحكومة السورية ووفد معارض موحد، ولكن هذا الأمر غير قابل للتحقيق حاليا، وذلك نتيجة مشاركة عدة وفود معارضة في المفاوضات».

غينادي غاتيلوف
نائب وزير الخارجية الروسي

حزب الله والشيعة في لبنان: ثنائية القوة والهلع

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

❏ نجح حزب الله خلال العقود التي تلت ولادته في أوائل الثمانينات في ربط مصير الشيعة في لبنان بمصير النظام السياسي في إيران. تولدت لدى الوعي الجمعي لشيعة البلد علاقة مصيرية تُدرج يوميات الطائفة بإيقاعات المزاج اليومي للحاكم في طهران.

وإذا ما كان أمر هذه العلاقة الجدلية ينسحب على شيعة المنطقة، إلا أن الخصوصية اللبنانية لجهة تواجد قوة نارية شيعية تتحرك وفق الأجندة الإيرانية من جانب، ولجهة الفسيفساء الطائفية التي يتّسم بها البلد من جانب آخر، تجعل مصير الشيعة ملتصقا بمآلات حزب الله في حال طرأ تحوّل إيراني أو دولي يتطلّب لجماً للحزب، أو تقليصا لدوره الإقليمي لحساب طهران.

واللافت أن الحركة الخضراء التي انفجرت في إيران في أعقاب الانتخابات الرئاسية عام 2009، شكّلت برهاناً على عدم تعويل المواطن الإيراني الشيعي على نظام الحكم في طهران، وعلى سعيه للخروج من براثن النموذج القائم في الدولة التي أرساها روح الله الخميني على أنقاض دولة الشاه. لكن هذه الحركة (الإيرانية المنتجة) أقلقت شيعة المنطقة، واللبنانيين خاصة على نحو يعكس حساسية الطائفة ليس حيال تغيير في نظام الحكم فقط، بل حيال أي جدل إيراني داخلي بين تيارات الحكم في طهران أيضا.

وفيما أن الإيرانيين منقسمون بين تيار محافظ يتزعمه الولي الفقيه وتيار معتدل أو إصلاحي، تتسع مروحة الأسماء القيادية داخله، داخل أو خارج السجون أو في الإقامة الجبرية، إلا أن "جمهور المقاومة" في لبنان يدين بالولاء لتيار المرشد فقط، ويتوجس من رموز الإصلاح وتياراته في إيران.

والمفارقة أن الضغوط التي مورست سابقا وتمارس اليوم ضد النظام السياسي الإيراني لا تقلق الإيرانيين أنفسهم، ذلك أنهم أبناء البلد ولا خطر على وجودهم وديمومة بقائهم وبقاء بلدهم مهما راجت التناقضات، وربما المواجهات، بين أولي الحكم في إيران والعالم. والمفارقة أيضا أن نظام الجمهورية الإسلامية في إيران لا يشعر بقلق وجودي جراء المزاج الأميركي الجديد الذي يبثه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، فهو يدرك أن المطلوب من هذه الضغوط المحتملة تغيير موقع نقطة التوازن بين إيران والعالم، والتي نجحت طهران في جعلها متقدمة داخل دائرة استراتيجية واسعة تتجاوز مجالها الحيوي المقبول. وتلك لعبة كرّ وفر يجيد الإيرانيون ممارستها والخروج منها بأقل الخسائر الممكنة.

لا يواري حزب الله موالاته لنظام الولي الفقيه، ولا يخفي الحزب أن دعمه المالي والعسكري واللوجيستي مصدره طهران، على حد مجاهرة السيد حسن نصرالله، الأمين العام للحزب. وعلى الرغم من أن الحزب يعتبر نفسه جزءا من المنظومة العسكرية الإيرانية، إلا أنه يعرف أيضاً أنه بالنهاية ليس إيرانيا ولا تعترف دول العالم به كجزء من تركيبة الدولة الإيرانية. فإذا ما قرر العالم البحث عن قواعد توازن جديدة مع إيران، فإن ذلك لا يشمل امتدادات إيران الميليشياوية في المنطقة التي سيتم التعامل معها بشروط مختلفة عن قواعد تعامل العالم مع طهران.

وقد استشعر حزب الله الفرق في تعامل الولايات المتحدة مع إيران، وتعاملها مع حاله في لبنان منذ عهد الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما. ذهب الأخير بعيدا للتوصل إلى الاتفاق النووي الشهير بين إيران ومجموعة الخمسة زائد واحد، وسعى لعدم استفزاز طهران في ميادين النفوذ الإقليمية في اليمن والعراق وسوريا، حتى أن لبّ انكفاء إدارته عن أي سلوك يقوّض النظام في دمشق سببه طمأنة طهران ومراعاة حساباتها في سوريا.

لكن الحزب لاحظ أيضا أن إدارة أوباما نفسها شنّت حصاراً ضده في المحافل الدولية من خلال ملاحقة شبكاته في العالم وتأكيد إدراجه على لائحة الإرهاب، وصولاً إلى فرض مراقبة على حركته وتحويلاته المصرفية والمالية على نحو أقلق النظام المصرفي اللبناني برمته. ثم إن الحزب لاحظ أيضا أن المعاملة "السيئة" التي تقاربه بها واشنطن بصفته نفوذاً تابعا لإيران في لبنان، لا تنطبق على الجماعات الشيعية المسلحة في العراق، والتي تعتبر أيضا تابعة للنفوذ الإيراني في هذا البلد. وإذا ما اعتبرت واشنطن، آنذاك، أن لتوابع إيران في العراق وظيفة في الحرب ضد إرهاب تنظيم داعش تعفيها من "المساءلة" الأميركية، فإن واشنطن تُخرج حزب الله من فئة المقاتلين ضد تنظيم البغدادي، على الرغم من أن زعيم الحزب ما برح يردد أن أهداف الحزب في سوريا هي مقاتلة هذا الإرهاب وأخواته.

على أن ما يرشح عن إدارة الرئيس ترامب يوحي بأن واشنطن لن تفرّق في نزالها مع إيران بين ميليشياتها في لبنان أو العراق أو اليمن، وأن أمر وقف النفوذ الإيراني في المنطقة برمتها بات هدفاً أميركياً بعد أن كان لسنوات مطلباً عربياً، خليجياً خاصة. وفيما يتحضّر العراقيون لعهد أميركي جديد في العراق، وفق رؤى ترامب، فإن خطط واشنطن العسكرية في شمال سوريا معطوفة على ورشة الترويج لإقامة المناطق الآمنة، توحي بأن وجود الميليشيات التابعة لإيران، بما في ذلك حزب الله، بات مهددا، وأن التوافق الأميركي الروسي المحتمل في الميدان السوري على الأقل، لن يسمح باستمرار حركة الحزب وأخواته في هذا البلد.

يستدعي نصرالله الوظيفة الأصلية لحزب الله والتي ذاع صيته في شأنها، وهي مقارعة إسرائيل. يعيد الرجل اكتشاف الخطر الإسرائيلي بعد احترام الحزب، شبه الكامل، للهدنة على الحدود الجنوبية منذ حرب عام 2006، وبعد سنوات بات فيها العدو الحقيقي متواجدا في القصير والغوطة وحمص وحلب... إلخ. يعيد زعيم الحزب إخراج "العدو" من الخزائن العتيقة ساعيا لشغر وظيفته القديمة في تأمين إطلالة إيرانية، وليس لبنانية، على شمال إسرائيل.

على أن اللافت في تأمل النقاشات التي يخوضها شيعة لبنان هي أنها محشوة بمفارقة سوريالية عجيبة. فـ"جمهور المقاومة" فخور بفائض القوة الذي يوفّره حزب الله في لبنان تحت مسوغ التصدي للخطر الإسرائيلي (حجة الرئيس اللبناني ميشال عون أيضا)، حتى لو انتهت هذه القوة إلى أن تكون جزءا من القوة النارية لنظام دمشق. وفي نفس الوقت فإن هذا الجمهور يشعر بقلق يلامس الهلع جراء أي تحوّلات في الشأن السوري (رغم الاستثمار الإيراني المكلف في المال والرجال)، وجراء "الانقلاب" الذي تقوم به واشنطن ضد إيران، والذي يبدو أنه الأمر الوحيد الذي يحظى بإجماع المؤسسات العسكرية والأمنية والسياسية الأميركية.

يبدو تصعيد نصرالله ضد إسرائيل لفظيا لا يرقى إلى أن يكون رادعاً بالمعنى الاستراتيجي العسكري. وهو ما يجعل من وظيفة هذا الخطاب داخلية تستهدف شدّ عصب جمهور الحزب والبيئة الشيعية حول العقيدة الأساسية ضد الخطر الإسرائيلي بصفته خطراً مباشراً على الجغرافيا الشيعية في لبنان. لكن التصعيد هدفه أيضا هو ربط مصير الحزب بمسألة الدفاع عن لبنان بلدا ودولة تفادياً لأن يتحول كبش فداء لأي مواجهة بين الولايات المتحدة وإيران. بمعنى آخر يسعى الحزب لاستدراج العالم إلى مقاربته في سياق حسابات الأمن الإسرائيلي، وليس في سياق المنازلة الجارية تحت عنوان محاربة النفوذ الإيراني في الخارج.

لكن أياً كانت طبيعة التحولات التي ستطرأ على المنطقة، فإن حزب الله يتصرّف بصفته خاسراً، على الرغم من خطب النصر التي يروّجها في الملف السوري. يكفي تأمل مناورة الحزب لفرض قانون انتخابي يناسبه، بغض النظر عما إذا كان يناسب التيارات السياسية الأخرى، ويكفي تأمل الحرج جراء مغامرته الدموية في سوريا والتي تصبّ نتائجها في حسابات روسيا، ويكفي تأمل العزلة التي يعاني منها الحزب داخل الطوائف غير الشيعية في لبنان كما داخل بقية بلدان المنطقة، لتخيّل ركاكة البنية الاجتماعية ووهن الخلفية الشعبية اللبنانية والإقليمية التي لن تؤمّن للحزب أي سند أو دعم يمنح حربه الموعودة ضد إسرائيل شرعية أخلاقية وسياسية على السواء.

> «جمهور المقاومة» فخور بفائض القوة الذي يوفره حزب الله في لبنان تحت مسوغ التصدي للخطر الإسرائيلي. وفي نفس الوقت فإن هذا الجمهور يشعر بقلق يلامس الهلع جراء أي تحولات في الشأن السوري وجراء الانقلاب الذي تقوم به واشنطن ضد إيران

من قال إن الحل السياسي في سوريا ممكن؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❏ بطريقة تبسيطية يقدم المعارضون السوريون حلا سحريا للمعضلة التي تعيشها بلادهم منذ ست سنوات. ولأن ذلك الحل لا يزال مقيدا بالمعادلة التقليدية التي طرفاها النظام والمعارضة، فإنه لم يعد صالحا للاستعمال، بسبب عدم واقعيته.

فالصراع في سوريا الذي وسمته الحرب بعنفها بكل ما انطوى عليه ذلك العنف من قتل وتشريد خرج عن النطاق الذي تمكن السيطرة عليه محليا. وهو ما يعني أنه صار في عهدة أطراف أخرى، سيكون على طرفي الصراع التقليديين العودة إليها دائما.

يُحمّل المعارضون النظام مسؤولية وقوع ذلك التشظي والتشعب والتعقيد بسبب لجوئه إلى العنف في مواجهة الحراك السلمي الشعبي، ويخفون حقيقة أن مطالبهم قد تماهت مع مطالب الدول التي رعتهم ومولت نشاطهم، وهي مطالب لم يكن في إمكان النظام أن يلتفت إليها بسبب عجزه عن تنفيذها.

ما لا يتفهمه المعارضون أن قضيتهم، وهو تعبير صار مجازيا، قد أفلتت من أيدي السوريين بعد أن صارت ملفا ينتقل بخفة بين الرفوف العالية التي لا تصل إليها أيديهم. يومها لم تكن روسيا هناك إلا بثقلها الدبلوماسي. مثلها في ذلك مثل الصين.

قبل روسيا كان الغرب كله حاضرا في سوريا، وكان حضوره عامل تهميش للسوريين. ما أنفقته الدول الممولة للخراب السوري من أموال يمكنه أن يشكل دليل إدانة لكل محاولات عقد صلة بين الحرب والثورة السورية. لم تكن الحرب لتقع لولا الانحراف بالثورة عن مسارها السلمي. ذهبت الحرب بآمال السوريين في التغيير السياسي، فهي الباب الذي انفتح على التدخلات الخارجية التي كان التدخل الروسي آخرها. وهو أمر يحاول المعارضون الالتفاف عليه حين يضعون هزيمتهم في حلب في المقدمة، فيما هي في الحقيقة مجرد نتيجة لما وقع قبلها.

فتحت تركيا قبل 5 سنوات حدودها مع سوريا للجماعات القادمة من كل أصقاع الأرض لتشارك في الحفلة السورية. ولم يكن ذلك ليحدث إلا برعاية غربية مباشرة، كان إسقاط النظام السوري هدفها المعلن. وهو ما أضفى على تلك الحفلة الدموية طابعا أمميا.

غير أن الغريب في الأمر أن المعارضة لا تزال تتفاوض في جنيف وسواها كما لو أن كل شيء يقع ضمن منطقة استثماراتها. وهي منطقة لا وجود لها في الواقع. فالمعارضة لا تملك ما تتفاوض عليه، سوى المطالب السياسية القديمة التي نسفتها الحرب بعد أن تحولت سوريا إلى ملعب أممي.

من المؤكد أنه ليس في إمكان المعارضين المكرسين رسميا الاعتراف بأن الحل لم يعد ممكنا وفق الأطر القديمة، بالرغم من اعترافهم بأن الإرهاب قد أثقل المشهد بأعباء جديدة لم تعد تلك الأطر صالحة لاحتوائها.

عجز المعارضة عن القيام بذلك مرده إلى أن ذلك الاعتراف سيفضح حقيقة انفصالها عما يجري في الداخل السوري، وهو ما ترغب روسيا في تعريته لتحصل من خلاله على تفويض دولي يحق لها بموجبه القيام بتدمير الفصائل المسلحة التي لا تزال تقاتل على الأرض كما حدث تماما في حلب.

في سياق العلاقة الملتبسة بين المعارضة ومطالبها، يمكننا فهم الموقف الذي يتخذه النظام والقائم على عدم الاكتراث بما تطالب به المعارضة. ما تخطط له روسيا ليس بعيدا عن أذهان أصحاب القرار في دمشق. وهو مخطط لا يحتاج إلا إلى المزيد من الوقت لكي يكون المجتمع الدولي جاهزا للقبول به. دفعت سوريا ثمن الحرب كاملا، لذلك فإن القضاء على الجماعات والفصائل المسلحة عن طريق الحل العسكري الروسي الذي من شأنه أن يضع نهاية لتلك الحرب لن يزيد من وجهة نظر النظام الأمور تعاسة وبؤسا.

غير أن ذلك الحل لن يُنفذ إلا بإخراج المعارضة الرسمية من المعادلة التي لا تزال بعض الأطراف تراهن على وجودها مثلما كانت في السابق وإن بدأ ذلك الرهان يتلاشى.

> المعارضة لا تملك ما تتفاوض عليه، سوى المطالب السياسية القديمة التي نسفتها الحرب بعد أن تحولت سوريا إلى ملعب أممي

المخدرات والتنظيمات الإرهابية.. العروة الوثقى

إدريس الكنبوري
كاتب مغربي

❏ ليس هناك ما يحول بين الجماعات المتشددة واللجوء إلى المحرمات من أجل الحصول على التمويل لتحقيق أهدافها. فالقاعدة الفقهية التي تقول إن الضرورات تبيح المحظورات تصبح في أيدي هذه الجماعات مبررا لأي شيء بما في ذلك ما لا يخطر على بال أحد.

حركة طالبان الأفغانية كانت سباقة في تسعينات القرن الماضي إلى توظيف الأموال المجلوبة من تجارة وتهريب الأفيون في تمويل النظام الذي أقامته في أفغانستان، وبعد الإطاحة بذلك النظام وتحولها إلى حركة مسلحة تقاتل الحكومة في كابول، فإن تجارة وتهريب الأفيون يشكلان المصدر الرئيسي لمداخيلها المالية، بل تشير التقارير إلى أن تجار الأفيون هم من كبار القادة في الحركة.

لا يشكل تنظيم داعش، استثناء عن القاعدة، فقد اعتمد في تمويل نفسه وملء خزينته على المداخيل التي تدرها عليه تجارة المخدرات، عبر التعامل مع شبكات التهريب الدولي. وخلافا لحركة طالبان، التي كانت قد جعلت من زراعة المخدرات والمتاجرة فيها المصدر الأكبر للمداخيل المالية بنسبة تقارب التسعين في المئة، فإن تنظيم أبوبكر البغدادي حرص على تنويع مصادره لكي لا يختنق ماليا، وبين هذه المصادر الأموال التي يحصل عليها من عصابات التهريب، والتي قد تصل إلى 10 في المئة من مجموع المداخيل في المناطق التي يسيطر عليها في سوريا والعراق، حسبما كشفت تقارير أميركية خلال العام الماضي. بعض التقارير أظهرت أن الزوارق المحملة بالمخدرات كانت تنطلق في الغالب من تركيا وتعبر المحيط الأطلسي، ما يعني أن التنظيم كان يتوفر على بنيات تحتية وعملاء له داخل تركيا، قبل أن تغير أنقرة من سياستها تجاه ظاهرة الإرهاب وتبدأ في محاربة التنظيم.

ويبدو أن خسارة التنظيم لعدد من المناطق التي كان يسيطر عليها منذ إعلان ما يسمى بالخلافة عام 2014، والتي فقد فيها أعدادا كبيرة من آبار النفط بسبب الضربات التي تلقاها من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، قد أضرت بشكل كبير بوعائه المالي ودفعته إلى الاعتماد أكثر فأكثر على تهريب المخدرات لتعويض خسائره، ونقل تلك النشاطات إلى منطقة الساحل الأفريقية وشمال أفريقيا، بعد تشديد الحصار عليها في العراق وسوريا؛ ولعب عدم الاستقرار في هذه المنطقة دورا في توجيه أنظاره إليها.

تقرير إسباني نشر هذا الأسبوع كشف أن الأوضاع الأمنية غير المستقرة في منطقة الساحل والشمال الأفريقي أحدثت تحولا جذريا في المعابر التقليدية التي كانت تسلكها في السابق شبكات تهريب المخدرات، إذ تم فتح معابر جديدة غير مسبوقة لا تقع تحت أعين الأجهزة الأمنية في المنطقة أو في أوروبا. والتحدي الأكبر أمام هذه الأجهزة هو محاربة التهريب عبر هذه المسالك الجديدة، والحيلولة دون حصول تواطؤ بين شبكات تهريب المخدرات وتنظيم داعش أو الجماعات المسلحة الأخرى الموجودة في المنطقة، والتي يمكن أن تحصل من خلال تلك الشبكات على مصادر مالية لتمويل عملياتها، خصوصا في ظل التخوف من أن تصبح تلك المسالك طرقا لتهريب الأسلحة إلى تلك الجماعات.

يشكل المغرب النقطة التي تعبر منها السفن المحملة بالمخدرات في اتجاه ليبيا أو مصر، ومن هناك إلى البلدان الأوروبية. وبهدف السيطرة على شبكات التهريب وضعت كل من فرنسا وإيطاليا واليونان وإسبانيا والمغرب مخططا مشتركا لمراقبة السواحل، ما أدى خلال السنتين الماضيتين إلى توقيف عدة زوارق كانت تنقل المخدرات يعتقد أنها كانت موجهة إلى منطقة سرت، معقل تنظيم داعش. ولكن بالرغم من هذه الجهود، فإن تعدد مسالك التهريب واستمرار الأوضاع الأمنية المتصدعة في المنطقة يجعلان من الصعب مواجهة الظاهرة بشكل ناجع.

> خسارة تنظيم داعش لعدد من المناطق التي كان يسيطر عليها منذ إعلان ما يسمى بالخلافة عام 2014، أضرت بشكل كبير بوعائه المالي ودفعته إلى الاعتماد أكثر فأكثر على تهريب المخدرات لتعويض خسائره

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk